جذور التفكير الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم

أ.د. محمد العيد رتيمة

أ(ة).سهام دويفي

جامعة يحيى فارس المدية – الجزائر

ملخص:

كما يظهر من عنوان البحث، فإن موضوعه يتمحور حول قضية مهمة وحساسة، وهي قضية إعادة قراءة التراث اللغوي العربي، وربطه بالفكر اللساني الحديث بهدف إبراز قيمته العلمية والحضارية، وهذه الممارسة العلمية تدخل ضمن ما يعرف اليوم بلسانيات التراث التي تعتمد منهج إعادة القراءة لتحقيق أهدافها المتمثلة في إغناء الدرس اللساني الحديث بمعطيات مفهومية ومنهجية مستمدة من التراث اللغوي القديم. وقد رأينا أن نعالج هذا الموضوع وفق ثلاثة محاور:

المحور الأول: تناولنا فيه مفهوم لسانيات التراث وأسسها العلمية.

أما المحور الثاني: فتناولنا فيه الأسس النظرية والمنهجية للفكر اللساني الوظيفي الحديث.

أما المحور الثالث: فتناولنا فيه الكشف عن بعض جوانب التفكير الوظيفي في التراث اللغوي العربي.

لنخلص في الأخير إلى نتيجة مفادها أن الفكر اللغوي العربي القديم، كان في مجمله فكرا وظيفيا من خلال تناوله للغة على أنها أداة للتواصل.

Abstract:

As shown by the title of the paper, the theme revolves around the issue of important and sensitive, which is the issue of re-reading of the Arab linguistic heritage and linking thought lingual talking to highlight the scientific and cultural value, and these scientific practice within what is known today Bulsanaat heritage-based approach to re-read to achieve their goals to enrich the lesson lingual modern conceptual and methodology with data derived from the ancient linguistic heritage.

We have seen that we address this issue in accordance with the three axes: First: we dealt with the concept of linguistics heritage and scientificfoundations. The second axis: Vtnolna the theoretical foundations and methodology of thought lingual career talk. The third axis: Vtnolna the disclosure of some aspects of functional thinking in the Arab linguistic heritage.To conclude in the fourth to the conclusion that the old Arab linguistic thought, was on the whole thought and functionally through the handling of the language as acommunication tool.

إن قضية ربط الفكر اللغوي التراثي بالفكر اللساني الحديث باتت من القضايا الهامة والملحة، لما لذلك من أهمية بالغة في إعادة بعث وتفعيل الفكر اللغوي التراثي من جهة، ومواكبة تطورات الثقافة اللسانية الحديثة من جهة أخرى.

وقد لا يخفى على أي باحث أن إعادة قراءة التراث اللغوي واستنطاقه لاستخراج كوامنه يضمن له الاستمرارية، ويكسبه قيمة علمية وفكرية حديثة لا تقل أهمية عن قيمة الفكر اللساني الحديث، الذي أثبت قدرته العلمية في معالجة قضايا اللغة بعيدا عن قيود المعيارية، والتخبطات الفلسفية.

إن كتاب «الألسنة الديكارتية» لمؤلفه **نوام تشومسكي** "N. Chomsky" الذي ربط فيه بين نظرية التوليدية التحويلية، وبين قواعد **بور رويايال**[1]. من خلال وقوفه على أوجه عديدة مشتركة بين الفكرين التراثي والحديث لدليل على اهتمام العلماء اللسانيين بالتراث اللغوي، والعودة إليه من أجل إغناء نظرياتهم اللسانية، وتعزيز أسسها النظرية والمنهجية.

ونحن في بحثنا هذا نسعى إلى ربط الفكر اللغوي العربي التراثي بالفكر اللساني الحديث الممثل في الفكر اللساني الوظيفي، وذلك من خلال البحث عن جذور معرفية تربطها، تكون بمثابة جسور وصل تبقي تراثنا اللغوي أمام أعيننا، قريبا من ثقافتنا، جاهزا للعطاء والمناظرة والمناقشة في كل زمان معرفي.

1- لسانيات التراث:

يشير كثير من الباحثين الذين تتبعوا النشاط اللساني العربي الحديث، إلى الصراع الذي أثاره ولوج اللسانيات الغربية الحديثة إلى الثقافة العربية في بداية

أربعينيات القرن الماضي[1] على أيدي ثلة من الدارسين العرب أمثال **تمام حسان، إبراهيم أنيس، ومحمود السعران** وغيرهم، الأمر الذي أحدث انقسامات وتوجهات أبانت عن وجهين متعاكسين متنافرين، وجه ينظر للتراث العربي نظرة تقديس وتمجيد، متعام عن أي قبس من التغيير يصيبه، رافضا لفتح أي نوافذ معرفية قد تبعث بنسائم التجديد بهذا التراث، ووجه آخر يمُّد أنظاره للوافد الجديد صادا عن التراث، معرضا عنه.

وبين هذا وذاك ظهر وجه ثالث التزم مبدأ الوسطية بين قبول معطيات الفكر اللساني الحديث، والتمسك بثوابت الفكر اللغوي العربي القديم[2]، انتهج أصحاب هذا الاتجاه المعتدل في نظرنا منهجا يقوم على فهم أسس ومبادئ الوافد الجديد، وربط بالمعرفة اللغوية القديمة، بهدف بناء نظرية لسانية عربية أصيلة، كما يوَّضح **عبد الرحمن حاج صالح** في تمييزه لمفهوم الأصالة عن مفهوم التقليد

---

[1] ينظر كل من:

- فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، إتيراك للطباعة والنشر، مصر، ط01، 2003، ص14.
- حافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط01، 2009، ص62-63.
- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط01، 2006، ص144-145.

[2] ينظر:

- عبد الله الجهاد، نهاد الموسى والمنهج اللساني المعاصر (أفاق اللسانيات)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط01، 2011، ص422-423.
- عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج02، ص279.

حيث يقول: «فإنَّ الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أيًّا كان المقلد المحتذى به سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيين، إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره»[1] وهو بهذا يخرج الأصالة بهذا المفهوم من مقابلة الحداثة، حيث يمكن للحداثة أن تكتسي مفهوم الأصالة إذا كانت إبداعا فكريا قد يستمدُّ مقوماته المعرفية من التراث، فليست الأصالة هي التمسك بالتراث، وترتيله أناء الليل والنهار دون نفض الغبار عنه، فهذه الممارسة لن تخرج عن كونها تقليدا للقدامى، كما أن الحداثة لا تعني القطيعة مع التراث، والاكتفاء فقط بالمعطيات الجديدة من نظريات ومناهج دون نظر وتمحيص، فهذه الممارسة كذلك لن تخرج هي الأخرى عن حدود الإتباع والتقليد للنموذج الغربي، الذي بات ينظر إليه على أنه الأصلح والأجدر على معالجة قضايا اللغة الطبيعية، بما يملكه من آليات منهجية علمية حديثة.

وعليه وبعيدا عن أي تقليد مهما كان شكله أو اسمه (الأصالة/الحداثة)، يحاول أصحاب الاتجاه المعتدل أن يعيدوا بناء النظرية اللغوية العربية وفق منهج معتدل أشار إليه منذر عياش في قوله: «يجب أن نوفق بين الأصول الحضارية لتراثنا والتقدم الحادث...»[2]، أي إيجاد أرضية مشتركة تستوعب الفكر اللغوي التراثي والفكر اللساني الحديث بعيدا عن مقاربات الفكر الإسفنجي الذي يتشرب مبادئ أية معرفة وضع فيها.

---

[1] عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج01، ص11.

[2] منذر عياش، اللسانيات والحضارة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2013، ص66.

ولكن لابد، ولازما علينا أن نشير إلى نقطة مهمة، ونحن نعالج قضية مهمة ومصيرية تخص الثقافة العربية، وهي أنه حتى هذا الفرق المعتدل كما نرى ويرى غيرنا، وقع في منزلق الإسقاط ولم يسلم من جراثيم حُمَى التبعية، فراح يسقط فكره الذي يتبناه ويؤمن به على الفكر الآخر، إما بهدف تقييمه أو بهدف إبراز قيمته العلمية والحضارية فظهر في الساحة الثقافية العربية عدة دراسات نظرت للفكر اللغوي التراثي بمنظار النظريات اللسانية الحديثة، وعالجت قضاياه بآليات منهجية غريبة عنه، يقول **مصطفى غلفان:** «وكأن الفكر اللغوي القديم لا قيمة له ولا يمكن تقويمه أو إدراكه، أو فهمه إلا في إطار الجديد وبالقياس على هذا الجديد الذي هو اللسانيات، أكثر من هذا وذلك نجد أن منهجية القراءة المتبعة لدى كثير من الدارسين العرب تغير رتبة العلاقة بين الفكر اللغوي العربي القديم وبين اللسانيات»[1]، وهذا إجحاف في حق تراثنا الضخم المتعدد القضايا والرؤى، والممتد عبر أزمنة ضرب في جذور التاريخ الحضاري العربي، إذ كيف لنظريات حديثة النشأة هي نتاج لفكر وثقافة مخصوصة، أن تكون حكماً على تراثنا وحتى العكس لن يكون صائبا في نظر كثير من الدارسين المتخصصين، إذ أن تلقي اللسانيات الحديثة بهدف الاستفادة من مناهجها، وتفعيلها في معالجة بعض القضايا اللغوية المستجدة خاصة في مجال تعليمية اللغات، لن يتحقق إذا تم تحت السلطة الرقابية للتراث، ولتفادي مطبات الإسقاط (إسقاط فكر على آخر) حدَّد الدارسون العرب المتخصصون بعض المنطلقات المنهجية لإعادة قراءة التراث

[1] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط01، 2010، ص105.

اللغوي العربي، وربطه بالفكر اللساني الحديث، نكتفي في هذا المقام بعرض رأي اثنين منهما، وهما من أبرز المتخصصين الذين حملوا لواء إعادة قراءة التراث بهدف إبراز قيمته العلمية والحضارية، وتفعيله ضمن النشاط اللساني الحديث.

الأول: وهو **عبد الرحمن حاج صالح** واضع أسس النظرية الخليلية، يقول **عبد الرحمن حاج صالح:** «وأصل الأصول عندنا هو الاستقلال المطلق للفكر وعدم الخضوع لنظرة الغير، والامتناع عن التمسك بعقيدة سابقة غير الأصول العقلية والعلمية المجمع على صحتها في كل زمان وفي كل مكان، وهذا الخضوع هو التقليد ليس إلاَّ...»[1] فهذه دعوة للباحثين إلى الالتزام بمبدأ الحياد، وعدم الانجراف وراء الخلفيات الثقافية التي يحملونها، والأطر العلمية التي ينطلقون منها مهما كان نوع الرافد الذي يغذيها سواء كان تراثي عربي، أو لساني غربي.

الثاني: هو **طه عبد الرحمن** المفكر والفيلسوف الإسلامي، **فطه عبد الرحمن** وضع عدة منطلقات منهجية لإعادة قراءة التراث ليس فقط اللغوي بل كل ما خلفه العرب المسلمون ويدخل تحت قبة التراث من علوم عربية إسلامية، وهذه المنطلقات نلخصها الآتي[2]:

1- تخلص الباحثين من الأحكام المسبقة والجاهزة عند دراستهم للتراث.

2- الإحاطة الشاملة بمناهج المتقدمين، مع الإحاطة الشاملة لمناهج المحدثين.

---

[1] عبد الرحمن حاج صالح، أصول البحث في التراث العلمي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد رقم 04، ديسمبر 2006، ص09-10.

[2] عبد الرحمن حاج صالح، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط04، 2012، ص20.

3- النظر إلى التراث نظرة شمولية لا يمكن معها الفصل بين الجانب النظري للتراث والجانب العملي، ذلك أن اللغويين القدامى لم يؤسسوا لنشاطهم اللغوي في المختبرات أو قاعات المحاضرات، وإنما أسسوه في الميدان الذي يقتضي الملاحظة والاستقراء للغة كانت في ذلك الوقت أداة للتواصل، ولم تكن لغة حبيسة الكتب.

إن تراثنا الذي خلفه أسلافنا ضخم وممتد، ولا يمكن لأي حال من الأحوال أو أي سبب من الأسباب أن نتغافل عنه، بل لابد أن نعيد قراءته قراءة واعية بآليات منهجية نستخلصها نحن بأنفسنا من ثقافتنا العربية مراعين في ذلك خصوصية هذه الثقافة، وخصوصية العقل الذي أنتجها، وإن فردا واحد لا يمكن أن يقوم بهذه المهمة بل لابد من تكاتف الجهود والعمل تحت سقف مشترك تماما كما كان حال أسلافنا حين أسسوا لمناهج شكلت مدارس علمية قائمة بذات فتحقق الهدف وحصل النفع.

2- الفكر اللساني الوظيفي الحديث: نشأته وأهم مبادئه:

لا يكاد يذكر الفكر اللساني الحديث أو اللسانيات الحديثة، إلا ويأتي معها ذكر العالم اللغوي السويسري **فرديناند سوسير** (1857-1913)، الذي يعزى إليه الفضل في تحديد إطارها النظري والمنهجي من خلال تحديد مادتها وموضوعها.

فمادة اللسانيات حسب **دي سوسير** هي اللغة البشرية التي تتجسد في جميع أشكال التعبير الإنساني[1]، وهي لا تخرج عن اللغة التي يتحدث بها الناس في الواقع.

أما موضوعها فهو اللسان في ذاته ومن أجل ذاته[2]، بهذا التحديد حُدِّدَ أطر التفكير اللساني الحديث، فالتفكير اللساني الحديث هو الذي يبحث في اللسان البشري لذاته ومن أجل ذاته بعيدا عن أي اعتبارات خارجية (دينية، فلسفية، تاريخية، اجتماعية أو نفسية)، وهو الذي ينظر للغة على أنها بنية من الوحدات اللغوية تربط بينها علاقات قبلية وبعدية، كما ينظر إليها على أنها أداة للتواصل البشري مبتعدا عن النظرة الفلسفية التي ترى في اللغة أداة لتمثيل الفكر.

مرَّ الفكر اللساني الحديث بثلاثة مراحل أساسية نجملها كالآتي:

– مرحلة الفكر البنيوي: الذي عزل الظاهرة اللغوية عن العوامل الخارجية واعتبارها نسقا مغلقا يمكن وصفه وتحليله تحليلا شكليا صوريا، تاركا الجانب الغير محسوس للغة وهو جانب المعنى على جنب بدعوى أنهم لا يملكون منهجا صالحا لوصفه وتحليله في الوقت الراهن.

– مرحلة الفكر التوليدي التحويلي لمؤسسه **نوام تشومسكي** (1928): الذي نظر إلى اللغة في مستويين مستوى عميق ويتمثل في القواعد النحوية والتي أسماها بالكفاءة اللغوية، ومستوى سطحي ويتمثل في الأداء أو الكلام الفردي.

---

[1] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص209.

[2] المرجع نفسه، ص2015.

– مرحلة الفكر اللساني الوظيفي: الذي نظر إلى اللغة على أنها أداة تؤدي وظيفة أساسية في المجتمع وهي وظيفة التواصل، ليسقط بذلك شعار «دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها» الذي نادى به **دي سوسير** ومن تابعه من رواد الفكر اللساني النبوي، ويبدأ عهد جديد وهو عهد الفكر اللساني الوظيفي.

إن الفكر اللساني الوظيفي أعاد اللغة إلى أحضان المجتمع الذي يحتاج إليها ليحقق أفراده الترابط والتواصل، فهي ذلك المنجز الفعلي اللغوي للمتكلمين في مقامات مختلفة لأداء أغراض معينة، بتعبير آخر لم تعد مجرد وحدات لغوية تربطها علاقات لغوية تحدد وفق المستويات اللغوية في لسان معين.

أفرز مبدأ اعتماد الوظيفة في دراسة اللغة البشرية تيارين لسانيين اثنين تيار بنيوي صوري وتيار بنيوي وظيفي.

أما التيار البنيوي الصوري فهو كما ذكرنا سابقا ينظر إلى اللغة على أنها بنية لغوية يتم وصفها وتحليلها بمعزل عن أية مؤثرات خارجية أي تحقيق الشعار **السوسيري** «دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها».

أما التيار البنيوي الوظيفي، فهو ينظر إلى اللغة على أنها أداة يجب وصفها وتحليلها من خلال ربطها بوظائفها التي تؤديها في المجتمع[1].

أما المبادئ العامة التي قام عليها الفكر اللساني الوظيفي فنجملها في النقاط التالية:

1. اللغة أداة تستعمل لتحقيق التواصل في المجتمع.

[1] أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان، الرباط، ط01، 2006، ص19.

2. اللغة أداة يستعملها المتكلمون لتحقيق أغراض معينة كالتعبير مثلا[1]، فبعد أن نظروا إلى اللغة على أنها أداة وليست فقط نظاما من الوحدات اللغوية تربط بينها علاقات قبلية وبعدية، بحثوا عن وظيفة هذه الأداة أو الجدوى من استعمال هذه الأداة، فوجدوا أنها تحقق وظيفة أساسية وهي وظيفة التواصل في المجتمع، وهذا ما أطلق عليه أحمد المتوكل وظيفة اللغة الأداة[2].

3. ترتبط الأنساق اللغوية ارتباطا وثيقا بأنساق استعمالها، إذ يحدد – حسب أحمد المتوكل– الثاني في كثير من الأحيان الأول، ويظهر ذلك في اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف الوسائط الاجتماعية المنتجة لها كجنس المخاطب وسنه، ومكانته الاجتماعية.

4. لتنجح عملية التواصل، يستلزم أن تطابق العبارات اللغوية سياقات استعمالها وسياق الاستعمال ينقسم إلى سياق مقالي وسياق مقامي.

أما السياق المقالي، فهو مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين والتي تشكل نصا، باعتبار أن التواصل يتم بواسطة نصوص وليس جمل.

أما السياق المقامي، فهو مجموعة المعارف والمدركات التي يستخدمها المتكلم والمخاطب في زمن التواصل.

5. يحضر مستعمل اللغة (المتكلم) بشكل كبير في الفكر اللساني الوظيفي الحديث إذ عليه مدار الأمر باعتباره أهم عنصر في عملية التواصل بإنتاجه للعبارات اللغوية، ولذلك فإن العبارة اللغوية ترتبط ارتباطا وثيقا بمواقف المتكلمين

[1] المرجع نفسه، ص19-22.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص24.

كالموقف المعرفي (شك، يقين، إحتمال)، والموقف الانفعالي (تعجب، استغراب، رفض...)، الموقف المرجعي (إسناد العبارة إلى مرجع خارجي: قيل بلغني).

وبهذه نكون قد عرضنا لأهم مبادئ الفكر اللساني الوظيفي الحديث، وإن كان هناك مبادئ أخرى، ولكنها تندرج تحت ما عرضناه، ولزيادة فائدة يرجع إلى مؤلفات أحمد المتوكل باعتباره رائد الفكر الوظيفي في الثقافة العربية وصاحب مشروع بناء نحو وظيفي عربي حديث.

3- جذور التفكير الوظيفي عند اللغويين العرب القدامى:

نظر القدامى إلى اللغة نظرة وظيفية وذلك حين عرَّفوها بأنها: «أصوات يستعملها كل قوم للتعبير عن أغراضهم»[1]، الشطر الأول من التعريف يشير إلى طبيعة اللغة فاللغة أصوات، وهذا التحديد لم يعرفه الفكر الغربي إلاَّ في العصر الحديث كما يذكر **عبده الراجحي** في قوله: «أما أن اللغة أصوات فلا نكاد نعرف مثل هذا التحديد لها إلاَّ في العصر الحديث»[2]، أما الشطر الثاني من تعريف **ابن جني**، فهو الشطر الذي يشير إلى وظيفة اللغة وهي وظيفة التواصل، يقول **عبده الراجحي**: «أما الجانب الثاني الذي يتضمنه تعريف **ابن جني** باللغة هو الذي يشير إلى وظيفة اللغة»[3] وبالتحديد الوظيفة الاجتماعية وهذا نستخلصه من لفظة "القوم" إذ القوم في الثقافة العربية القديمة تعني المجتمع، وقد دفع إحساس اللغويين الأوائل أمثال **أبي الأسود الدؤلي** و**ابن أبي إسحاق الحضرمي**، و**أبو عمرو بن**

---

[1] ابن جني، الخصائص، حققه محمد علي النجار، مطبعة الهدى، بيروت، ص19.

[2] عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص69.

العلاء وغيرهم بقيمة هذه الوظيفة اللغوية الاجتماعية إلى وضع اللبنات الأولى لبناء صرح الدرس اللغوي العربي القديم، إذ لا يخفى على أي باحث قضية اللحن الذي بدأ يتسرب إلى اللغة العربية مع اتساع رقعة الإسلام ودخول غير العرب فيه، والحفاظ على الأداة يضمن تأديتها لوظيفتها بنجاح، هذا وإن ذلَّ يدُّل على تفكير لغوي وظيفي، فدراستهم للغة لم تكن من باب الترف العلمي، أو مجارات الأمم الأخرى وتقليدها بل كان من باب الحفاظ على الأداة التي تحقق لهم التواصل ليس فقط فيما بينهم ولكن التواصل مع خالقهم عز وجل.

لا يبتعد تعريف ابن جني للغة عن تعريف **أندري مارتيني** –أحد رواد الفكر اللساني الوظيفي في أوروبا– حيث عرفها بقوله: «إن اللغة أداة تواصل، تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل مجتمع إنساني عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالي، وعلى عبارة صوتية»[1].

في مطابقة بين تعريف **ابن جني** وتعريف **مارتيني** نجد أن **مارتيني** يشير إلى الطبيعة الصوتية للغة وهي الطبيعة نفسها التي أشار إليها **ابن جني**، يشير **مارتيني** كذلك إلى وظيفة اللغة التواصلية في المجتمع، وهي الوظيفة نفسها –كما ذكرنا سابقا– التي أشار إليها ابن جني، فالتعريفان يكادان يكونان متطابقان لا زيادة في التعريف الثاني، ولا اختلاف فيه عن التعريف الأول.

ذكرنا في المبادئ التي قام عليها التفكير الوظيفي الحديث، أن اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمتكلم وبسياق استعمالها، يتحقق هذا المبدأ عند القدامى وخاصة

1) A. Martine, éléments de linguistique générale, Armand collin, 1960, p20.

عند **سبويه** الذي قسَّم الكلام إلى خمسة، تقسيمها في باب ما سماه «باب الاستقامة من الكلام والإحالة»[1] والاستقامة هنا هي استقامة نحوية، واستقامة دلالية واستقامة سياقية، كما يظهر في التقسيمات الخمس:

- المستقيم الحسن: أتيتك أمس، وسآتيك غدًا.
- المحال: أتيتك غداً، وسآتيك أمس.
- المستقيم الكذب: حملتُ الجبل، شربت ماء البحر.
- المستقيم القبيح: قد زيدًا رأيتُ، وكي زيدٌ يأتيك.
- المحال الكذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.

لا تكفي الاستقامة النحوية حتى تتحقق وظيفة التواصل إذ لابد من استقامة دلالية، والاستقامة الدلالية[2] تتحدد باعتبار السياق المقامي الذي أنتجت فيع العبارة اللغوية.

فاستقام العبارة اللغوية نحويا ودلاليا وكذا سياقيا في هذه الحالة تصبح عبارة صالحة لتحقيق وظيفة التواصل، وهذا مما لم يخف عن القدامى فأسسوا لذلك علما قائما بذاته أسموه "علم المعاني".

أما ما يخصُّ دراسة القدامى للأصوات فلا شك أنها كانت دراسة وظيفية ويظهر ذلك في علم القراءات القرآنية، فاختلاف القراءات القرآنية كان نتيجة اختلاف الوظائف الصوتية أحيانا، وأحيانا نتيجة نسخها في بعض المفردات فتغير

---

[1] سبويه، حققه عبد السلام هارون، ج01، ص25-26.

[2] حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط01، 2000، ص65.

حركة إعرابية واحدة يؤدي إلى تغير في معنى المفردة، بالتالي تغير في معنى التركيب.

4- خاتمة:

لا يسعنا ختاما إلاَّ أن نقول كما قال أساتذتنا المهتمين بالفكر الوظيفي الحديث وعلى رأسهم **أحمد المتوكل:** «إننا نجد في الدرس اللغوي القديم إرهاصات واضحة للوظيفية، وإن لم نجد فيه استعمال هذا المصطلح»[1]، فغياب المصطلح عند القدامى ناتج عن خصوصية الثقافة اللغوية في ذلك الوقت، لذلك من أهم الأسباب الداعية إلى قراءة التراث هي إعادة صب المفاهيم القديمة في قوالب مصطلحات تتوافق والثقافة اللغوية الحديثة حتى يبقى التراث حاضرا وفعالا في كل زمان ومكان.

فلا مجال للشك في أن القدامى كان تفكيرهم تفكيرا وظيفيا، وعلى هذا الأساس أسسوا الدرس اللغوي العربي القديم.

[1] أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، مرجع سابق، ص43.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب باللغة العربية:

1. ابن جني، الخصائص، حققه محمد علي النجار، مطبعة الهدى، بيروت.
2. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان، الرباط، ط01، 2006.
3. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
4. حافظ اسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط01، 2009.
5. حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، دار الشروق، القاهرة، ط01، 2000.
6. عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج01.
7. عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج02.
8. عبد الرحمن حاج صالح، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط04، 2012.
9. عبد الله الجهاد، نهاد الموسى والمنهج اللساني المعاصر (أفاق اللسانيات)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط01، 2011.
10. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت.

11. فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، إتيراك للطباعة والنشر، مصر، ط01، 2003.

12. مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط01، 2006.

13. مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط01، 2010.

14. منذر عياش، اللسانيات والحضارة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2013.

الكتب باللغة الفرنسية:

15. A. Martine, éléments de linguistique générale, Armand collin, 1960, p20.

المجلات:

16. عبد الرحمن حاج صالح، أصول البحث في التراث العلمي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد رقم 04، ديسمبر 200